حديقة الإمان
رضا الرخ
BLACK INK
الحبر الأسود
الخازندار

حديقة الرمان (قصة قصيرة)

دار الحبر الأسود للنشر و التوزيع

****

العنوان: حديقة الرمان

الكاتب:د/ رضا الرخ

اخراج فني: الخازندار للنشر الالكتروني

جميع حقوق النشر الالكتروني محفوظة للكاتب/ة تحت اشراف موقع الخازندار للنشر الالكتروني، و غير مسموح بنقله أو مشاركته أو نشره الكترونيا دون اذن مكتوب من الكاتب

بالتعاون مع :

الخازندار للنشر الالكتروني

حديقة الرمان

قصة قصيرة

رضا الرمح

أطاحت به الأيام فكأنه عند صعوده درجات سلمه القديم المتهالك اعتمادًا على عكازته تسحبه همومه إلي الماضي كأنها لا تر يد تقدمه.

يصل إلي باب غرفته و يُخرج مفتاحه الذي لا يُحسن الدخول إلي ثقب الباب؛ لارتعاش يده، ولكنه في النهاية يفتح.

يسحبه السرير إليه كأن الغرفة خلت من أثاثها فتلتقط يده ألبوم صور قديم له يتطلع إلي صوره، وعيناه تملؤها الدموع.

ظهرت تخيلات الماضي حول رأسه تبتسم له الصور فيبتسم لها، و تعبس في وجهه فيحزن؛ لكل صورة قصة، و حياة

قائلا : ليتني لم أعش إلي هذا اليوم.

لا أحد يمسح دمعته التي بللت وسادته.

انتهي الصراع بين النوم، و اليقظة باستسلامه إلي نوم عميق استيقظ منه عندما داعبت الشمس عيونه من خلف نافذته القديمة، و ستارته المهترئة حاول أن يستتر منها لكن عيونه أخذت تتسع شيئًا فشيئًا.

انتفض من سريره عندما أبصر نقاطًا حمراء على الجدار الملاصق للسرير أخذ يتأملها، ولكن نسيم الشرفة المطلة على الطريق صرفه عنها إليها تحرك صوبها؛ ليتراقص شعره الأبيض الخفيف.

ألقى نظرة خارج الشرفة . فاستولى عليه الذعر..... ما هذا..؟ كل النوافذ أمام شرفته موصدة تمامًا كأن سجانًا قد أحكم غلقها حتى الطريق خلا من المارة كما خلت داره من أهلها، و منطقته من جيرانها.

انصرف ورعب المكان بدأ في الوصول إلي منبت شعره كل الحوائط عليها آثار الدماء تتثاقل قدمه في سيره، تتسارع أنفاسه، يبلغ صوت قلبه مسامعه.

وفجأة اصطدم رأسه بلوح خشبي يحمل عشرات الكتب المعروفة إلا كتابًا واحدًا سقط أمامه، ففتح على رسمة سداسية الشكل بها شيء ذهبي صغير يشبه الذبابة .

مد يده كي يلتقطه، ولكن ظهره أبى إلا أن يستقيم؛ لشدة ألمه أعاد له استقامته، ورفع يده؛ ليبصر عقارب ساعته.

اشتد به الألم فتوجه لصنبور المياه وهو يلهث وضع كوبه الذي أفرغه عدة مرات حتى صفا واستدار ليخرج دواءه من جيبه فتحركت الذبابة فسقطت في الكوب، و ذابت تمامًا فلا يرى لها أثرًا.

حمل الكوب بيده المرتعشة التي أسقطت الماء علي أطراف ثوبه، ارتفعت ببطء ،لامس الكوب شفته، جرى الماء في جوفه مع دوائه.

سقط الكوب، و صديقه الخشبي، وكذلك الرجل نفسه.

في بعد آخر بين الحقيقة، و الخيال هناك تلتقي لذة المشتاق بالمشتاق.

ينادى أحدهم : مصطفي .. مصطفي ... أسرع . يا أخي تأخرنا كعادتنا بسبب العشق بينك و بين المرحاض.

انتابت مصطفي القشعريرة، و الحيرة في الوقت نفسه، وما شعر إلا و أخوه يدفع عنه يده.

إبراهيم : تكاد تخنقني . ماذا دهاك ؟؟

تحركت مشاعره، و اشتدت لهفة المشتاق إلي ماء حياته بأرض قفراء دارت عينه؛ تبحث عن مجالس معلومة لأشخاص سكنوا داخله لونت الدار بألوان أصحابها من جديد .

أشار قلبه إلي الأريكة تحت النافذة، وعيونه تقاوم دمعه .

أعاد حذاء أمه وعيه، فانتبه وهي تقول : فنائي على يديك.

تنفس بطلنا الصعداء؛ فقد وجد بغيته ولكنه تصرف علي غير عادته؛ فقد أعطى الحذاء لأمه دون أن يهرب، و انكفأ علي أقدامها مقبلًا.

مصطفي : أمااااه . اشتقنا.

خالطت دموعه دموع أمه التي بكت ثكلى على فراق ولدها.

الأم : ولدي ماذا أصابك ؟.

مصطفي : الأيام، و مخالبها فرقت شملنا فسامحيني.

عاد إلي شروده من جديد، ابتسم قلبه، و لمعت عينه؛ عندما قصد جبل حياته الذي يستند إليه.

دفع باب غرفة الكتاب بحذر فأبوه يعشق الهدوء، و يزمجر عندما يعكر صفو حياته، مد رأسه من خلف الباب لكن الظلام دامس تقدم خطوتين إلي داخل الغرفة ،وضع أصابعه على المفتاح الكهربائي أنار الضوء، ولم تنر ذكرياته هنا مازال المكان مظلمًا به آثار الدماء.
أغلق الباب طرق بقوة، صرخ بقوة ،اندفع إلى النافذة، ولكن لا ملجأ و لا منجا.

جلس القرفصاء في زاوية الغرفة كما كان يفعل عندما تتكالب عليه دنيته، ولكن أباه ليس هنا ليقيمه بكلماته فيأخذه، و يأخذ بثأر من الدنيا إن آذته.

ارتطمت النافذة بقوة، وعصفت رياح الحجرة، و سمع صوتا زاد رعبه.

الغريب : ما أجمل الماضي !!!!و الأسرة !!!وألا تريد أن تعود إليه ؟

أشار مصطفي برأسه موافق.

الغريب : ولكن لكل عمل مقابل أتذكر حديقة الرمان خلف المنزل ؟؟

تحرك مصطفي صوب النافذة الخلفية، و نظر فرأى أشجار الحديقة، و بلابلها، و عصافيرها تغني على النافورة في وسطها هاجت ذكرياته ،ولكن سرعان ما عادت خربة.

الغريب : طلبي أن تعيد الحديقة كما كانت بنبتة جميلة ،دائمة الخضرة، سريعة النمو، أنبوبية، أوراقها ملونة نجمية ، بداخلها ثمرة ذهبية عندما تتفتح يتعطر الليل كله اسمها (نجمة الليل)

تهدي كل نبتة منها لفتاة جميلة عزباء فقط ،و أعطيك إكسير الطفولة لتلتقي مع أهلك
،و تعوض سنين عمرك.

عاد الاتزان إلى مصطفي ،و لكن غرابة الرجل ،و كلامه ظلت تزداد.

مصطفي : هذا فقط ؟

أعد مصطفي عدته ونزل ؛ليحرث الحديقة حتى يأتي الغريب.

أنجز عمله بسرعة ،و انتظره ناداه و لكنه لم يظهر.

صعد إلي غرفة الكتاب، و طوي مللـه بأوراقه فجذبته صورة الرمان، و ما كتب تحتها (في كل حديقة رمان مارد مسيطر عليها قد حبس روحًا داخلها تخالف طبيعته فاحذر أن تكسر جذور أشجارها فتطلق هذه الروح)

لم يلتف مصطفي لكلام الكتاب؛ و اعتقد أنه إبداع مبدع و نسج خياله.

أظلم الكون ،وظهر الغريب بصورة لم ينتبه إليها مصطفي.

الغريب : تفضل هذه البذور وذاك السائل الأسود المشع هو سمادها السحري؛ لتنمو بسرعة.

أخد مصطفي ما أعطاه ،و انطلق ؛ليبدأ الزراعة ناداه الغريب

الغريب : احذر أن تهوى فأسك على جذور الأشجار فتكسرها.

سمع مصطفي صدى صوت هذه الكلمات التي أشار إليها الكتاب أكمل طريقه، و لكن الفضول يقدح داخله انتصر الفضول ورفع الفأس؛ ليضرب الجذور ظهر الغريب من العدم كاشر الوجه.

الغريب : حذرك أو هلاكك.

انتفض مصطفي ؛رعبًا، زاد قلقه، و لكن فضوله أقوى صعد؛ ليقرأ بقية الكتاب و، لكن الغريب أخفاه أصر على كسر تلك الجذور صباحا فما وجدها و أدرك أنها لا تظهر إلا بظهوره.

أكمل عمله؛ ليحصل على المكافأة نمت الزهو بسرعة رهيبة.

قال مصطفي في نفسه : هذه قوة السائل السحري.

انتبه مصطفي مهلًا هو لم يضع السائل أصلًا فكيف نمت.

انقضى النهار و أتى الغريب فأعجبه صنيع مصطفي.

الغريب : لك منا مفاجأة اصعد إلى غرفة الكتاب.

تحرك مصطفي بقلق، وحذر أعاده الغريب إلى فترة شبابه لكن قوته تضعف كلما نبتت نبتة جديدة.

فتح مصطفي حجرة الكتاب فوجد ألوان الماضي قد زارتها، و جبل حياته في شرفتها يقرأ الجريدة، و يسمع القرآن ،و يقبل فنجان قهوته.

مصطفي : أبي ؟

الأب : مصطفي كيف أصبحت يا ولدي ؟

مصطفي : بهم الدنيا يا أبي، ولولا حذاؤك لهلكت.

الأب : بنى (الولد سر أبيه) كن جبل نفسك، و حاميها، و ثق أنني مع كل نفس تتنفسه إلي جانبك.

بددت الغيوم أباه ركض في الغرفة بطولها؛ باحثا عنه عاد الظلام، و الهلاك .

جلس القرفصاء من جديد.

الغريب : بقي القليل على اللقاء فقريبًا أعطيك إكسير الطفولة هيا. وزع الأزهار في القرى و احرص أن تنالها الفتيات.

مصطفي : وكيف أضمن ذلك ؟

الغريب : النبتة تجذب ضحاياها أقصد أجملهن.

لم ينتبه مصطفي إلي الكلام، و مضي ينفذ ،و يبذل جهده حتى بزوغ الفجر الكاذب، وهنا عاد ،وزار الحديقة يؤمل نفسه بإكسير الطفولة انتابته رقصة الفرح في الحديقة، أطار الفأس في الهواء فسقطت الفأس على جذر الرمان فحطمت ،لطمه الغريب ،و كاد يقتله لولا أذان فجر النهار.

أفاق مصطفي من إغماءته فوجد نفسه على سريره ،و بجانبه ما يحب من الطعام أراد الاعتدال ،ولكنه سمع صوتًا رقيقا.

الجنية : لا عليك اجلس، و أطعمك بيدي.

مصطفي نظر إليها ،و أمعن النظر كأنه يعرفها حتى سيطر عليهما البكاء .

مصطفي : حبيبة عمري ؟ هذا أنت؟ أميرة؟

الجنيــة أميــرة : فارقــت لتجنــي المــال فهجرتنــا ،ضاعــت زهــرة شبابي؛ انتظـارًا خدعنـي زوبعـة، فاستغل شـوقي ،و روحـي ؛لإنبات نجمـة الليـل فسـحب سـر حياتـي ،و جعلنـي سـجينة تحـت جـذوره حتـى حررتنـي ولكـن بعـد فـوات الأوان.

مصطفي : من زوبعة ؟ و كيف يسحب أرواحنا لنبتته ؟

الجنيـة أميـرة : إنـه مـن تصادقـه هـذه الأيام سـفاني ثمـرة نبتتـه الذهبية ،فسـحب روحـي . فنشـرت الزهـرة فسـحبت الكثيـر مـن الفتيـات ؛ لينجـب ذريتـه التـي يتمناهـا؛ ليفتـح بابًـا بيـن العالميـن فيسـيطر علـى الأرض كمـا كان يفعـل الجـن فيمـا مضـى

هجر الكل القرية بسببي ؛لاختفاء فتياتهم.

مصطفي : و ماذا عن أختي أماني ؟

الجنية أميرة : كان من الضحايا اختفت فمرضت أمك عليها ،و عانى أخوك ،و أبوك مرارة الفقد..

مصطفي : و أين هم الأن ؟

الجنية أميرة : انقطعت أخبارهم عني فقد سجنت تحت الجذور . ولكن كيف حررتني يا مصطفي و كيف حطمت الجذور ؟؟

مصطفي و قد انتابه الهلع و تذكر حاله قبل أن يغمى عليه.

مصطفي : يا إلهى زوبعة سيقتلني؛ فقد عرفت سره . كيف النجاة يا أميرة ؟

الجنية أميرة : نجاتك في الكتاب.

مصطفي : لقد أخفاه عني.

الجنية أميرة : لا عليك إنه في قبو منزلك و لكن لا أستطيع إحضاره فقد حمى المكان بتعويذة سليمانية تمنعني.

تحرك مصطفي بسرعة؛ ليدرك الكتاب من القبو أوقفته أميرة.

أميرة : نجاتك عند القمريين ابحث عنهم داخل الكتاب.

تابعت كلامها عنهم ،وهو يركض على السلم قبل الغروب و ظهور زوبعة .

وقد علم أن القمريين ذرية جنية مسلمة من نسل الجن المؤمن علي يدي نبينا محمد صلي الله عليه و سلم.

وقف أمام القبو، أخفض رأسه ،و اندفع دون أدنى تفكير، يسيطر عليه الرعب ،يفزعه الوقت ،يقاتل الغروب ،و شباك العناكب ،و ا لظلمة

،و أصـوات الأرواح المعذبـة داخـل القبـو داسـت قدمـه الرسـمة السداسـية فـي الكتـاب ،و لكنهـا علـى الأرض أنـار المـكان برسـمة أكبـر تجـري الدمـاء حولهـا و الكتـاب فـي منتصفهـا.

اندفع مصطفى؛ ليدركه فر صفحاته ،وصل لصفحة القمريين قرأ التعويذة بسرعة دون فهم .

عصفت به الرياح، أطاحته أرضًا على ظهره ألقى الكتاب بعيدًا سمع صوتًا عارمًا غاضبًا.

زوبعة : كتبت على نفسك الهلاك كمن حررتها.

سل زوبعة سيفه ؛ليضرب عنقه هوى سيفه ،و لكن رقبة مصطفي في مكانها.

رفع عينيه وجد جنيًا عليه ملامح القوة ،و الشموخ قد تلقي بسيفه سيف زوبعة.

القمري : اخسأ يا عدو الله.

زوبعة : دعني و شأني .

القمري : أنت شأني استنجد بي هذا المسلم ،و قد تعلمنا نجدة المستغيث .

دارت معركة مرعبة لا يبصر منها مصطفي إلا لمعان السيوف هنا، و هناك يملأ الذعر قلبه من كليهما ؛فكلاهما جنيان.

اشتعلت النار في أحدهما وسمع صوتًا يقول بقوة ،و أنفة

القمري : هذا جزاء الظالمين.

التفت القمري لمصطفي، و اقترب منه رافعًا سيفه.

فزع مصطفي ،و أغمض عينه من لمعان بريق سيفه ،وضعه في غمده .

القمري : قد أمناك على روحك و كنا سببًا في نجاتك فاشكر الله ،و لا تشكر عباده واعلم أن كل أذى حقق زوبعة مادام لم يذهب بالأرواح فإنه سيعود.

باحتراق زوبعة تحررت الكثير من الأرواح ،فضت الكثير من الأختام، فتحت السجون، تحررت الفتيات اللائي بقين على قيد الحياة.

كلت يد إحداهن من الطرق على سجن زوبعة ولما يئست فتح لها الباب فنفضت عنها ترابها، و تحركت إلي منزلها القديم ؛حيث دفء الأسرة الذى فقدته .

طار خبر مصطفي ،و نجمة الليل ،وزوبعة في الأجواء، نبض قلب أحد السامعين فانطلق إلى القرية التي فتحت له أبوابها لا أظنه زائرًا؛ فعينه مصوبة لشرفة معلومة ،و خطواته ثابتة في اتجاه واحد غير أن الهموم تساوره و يخشى أن يموت الأمل داخله.

لمحه مصطفي تابعه بعينه دب شعور غريب في نفوس كليهما طوى مصطفي السلم طيا ،ركض الزائر بأقصى سرعة ذاب الرجلان في أحضان بعضهما و دموعهما لا يبصران منها

الطريق.

قالا كلاهما : فقدت أختي أماني .

تحركت قدم أخرى تدخل باب المدينة إنها الناجية من زوبعة تركض ،و دموعها تسبقها ،و أقدامها لا تتحملها ؛لترمي بأحضان الرجلين نظر كل منهم إلي الآخر ،و كلهم يقول : فصبر جميل.

أمانى : إخوتي ضماني؛ فقد رأيت ما لا طاقة لي به . أريد أمي.

إبراهيم : أمي منذ غيابك وهي تعاني القهر ،و المرض إنها على فراش موتها تهزي بقولها : مصطفي .. أماني .

انطلق إبراهيم، ومصطفي ،وأماني إلي منزلهم الجديد يخرجون من القرية و أصحابها الأصليون يعودون إليها يركضون ؛ليدركوا أمهم و على مرمى البصر رأى الأبناء أباهم فاندفعوا إليه يعانقونه ،و دموع الأربعة تنصهر معا .

الأب : فصبر جميل

نظر الأب إليهم بوجوم لم يعهدوه حين سألوه عن أمهم

الأب : فاضت روحها إلي بارئها.

ضج المكان بالبكاء ،و الحسرة على أمهم التي أنساهم موتها فرحتهم باللقاء.

وعلى الجانب الآخر يبكى أبناء زوبعة على رفات أبيهم

الـذي فارقهـم ، و يقسـمون علـى الانتقـام ممـن تسـبب لهـم فـي تلـك الحسـرة.

عادت أسرة مصطفي من جديد إلي ديار مولدها، و صباها، و أحلامها.

فمن سيحذرهم من أبناء زوبعة و ثأرهم.

تمت بفضل الله

الكاتب : رضا الرخ